استدعاء الشخصيات التراثية في شعر عز الدين ميهوبي
Summoning the traditional figures in the poetry of Izz al-Din Mihoubi

نوال أقطي[1،*] - سعاد طويل[2]

[2 ،1] جامعة محمد خيضر بسكرة - الجزائر

تاريخ الاستلام: 2021/05/24 تاريخ القبول: 2021/07/07 تاريخ النشر: 2021/07/28

ملخص:

إن عودة الشاعر إلى التراث تمثل محاولة لفهم الذات والوجود معا، لذا تسعى هذه الدراسة لتتبع حركية استدعاء الشخصيات التراثية في شعر عز الدين ميهوبي، وبيان وعيه التام في كيفية التعبير عن رؤيته الفكرية والإنسانية.

وتستعين بالمنهجين التاريخي والوصفي، استجابة للتنقيب في المنجم التاريخي والديني والأدبي وحتى الأسطوري، مع توضيح آليات الاستدعاء والدلالات المبتكرة .

الكلمات المفتاحية : الاستدعاء، ؛ الشخصيات التراثية ؛ الشخصيات التاريخية ؛ الشخصيات الدينية ؛ الشخصيات الأدبية.

Abstract:

The return of the poet to the heritage represents an attempt to understand the self and existence together, so this study seeks to trace the movement of recalling the heritage figures in the poetry of Izz al-Din Mihoubi and to demonstrate his full awareness of how to express his intellectual and human vision.

And it uses the historical and descriptive methodology in response to the exploration of the historical, religious, literary and even mythological mine, with the clarification of recall mechanisms and innovative connotations.

Keywords: summons ; heritage figures; historical figures ; religious figures ; literary figures.

* **المؤلف المرسل:** naouel.naouel.agti@gmail.com

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

1- مقدمة:

إن علاقة الشعر بالتراث علاقة قديمة، إذ هو منبع الإلهام المستفز للشاعر، بما يحويه من حمولة سوسيوثقافية وتاريخية تثري النص الشعري وتعزز بنياته الفنية، ومن ثمة فإن «الإفادة من الخبرات الماضية تسهم في تشكيل مفاهيم جديدة»[1]، من شأنها بعث دينامية النص وإثراء الموقف الشعري.

هذا وقد تأكد لدى الشاعر المعاصر الإيمان العميق بوحدة التجربة الإنسانية، فاستعان بشخصيات الماضي ليحاكم من خلالها الواقع في علاقة تبادل تفاعلية، «يتبادل فيها الشاعر والموروث الأخذ والعطاء، التأثير والتأثر يرتد الشاعر إلى الموروث ليمتاح من ينابيعه السخية ما يساعده على إيصال تجربته الحديثة إلى المتلقي، [وفي الوقت نفسه] تكتسب هذه المعطيات التي استعارها الشاعر غنى وشبابا، وهكذا يتم الأخذ والعطاء من الجانبين، أو من طرفي العلاقة، وليس من جانب أو طرف واحد »[2].

وقد عرف النص باستناده إلى الموروث نماء وانفتاحا؛ لكون التراث خيال أمم تطلعت نحو المثالي والاكتمال، إنه تجربة حدسية تفعل حياة التجربة الإبداعية، وهو شكل من أشكال التعبير عن التجربة الإنسانية في مغامرتها مع الحياة والوجود؛ لكونه تراكم معرفي وجزء أساس من القوام الاجتماعي.

كما أن الشعر تجربة روحية وجمالية عميقة تتصل بأعمق مكونات الأمة ومشاعرها، وتستخدم من اللغة أقرب ألفاظها وكلماتها إلى الحس، وأكثرها قدرة على الترميز والإشعاع بهذه المكونات[3] لذلك يلتقي الشعر بالتراث في تلك الروحية والإنسانية التي يتم من خلالها بناء الذات .

ولقد استلهم الشعراء الجزائريين المعاصرين مثلهم مثل غيرهم كثيرا من الشخصيات التراثية تاريخية ودينية وأدبية لإثراء تجاربهم الإبداعية وإكسابها أكثر شرعية عند المتلقي فأنتجوا نص التحول المتدثر ببردة الحداثة والتجريب.

من هنا تأتي هذه الدراسة لتبحث استدعاء الشخصيات التراثية في شعر عز الدين ميهوبي، لاسيما أنه يستخدم تلك الشخصيات، ليكثف رؤاه الإبداعية، ويعبر عن دلالات نحاول الكشف عنها عبر الإجابة عن إشكال مفاده: ما الشخصيات التراثية التي تم استدعاءها في نص الشاعر؟ وما أثرها في التشكيل الفني؟

2- أنواع الشخصيات التراثية المستدعاة وآليات استدعائها:

يستعين الشاعر من خلال العودة إلى الماضي، باستحضار الشخصيات التراثية، إما باعتماد مبدأ التحويل، وخلق مقامات وأحوال جديدة للشخصية، بحيث تكتسب نظاما دلاليا ترميزيا مختلفا، أو اعتماد النقل دون تغيير أو استبدال، والأمر في الحالتين يغذي الإنتاج الدلالي، ويشكل معالم النص الجمالية، لكنه يرتقي إلى إحداث المفاجأة في الحالة الأولى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و نفتتح دراسة مبدأ الاستدعاء بالشخصية التاريخية، باعتبار أن كل الشخصيات الأخرى(الدينية، الأدبية، والتراثية والأسطورية) تاريخية.

1.2 – الشخصيات التاريخية:

إن الشاعر الجزائري وهو يعيش في أرض الثورة، لم يكن ليمر على تاريخه، دون أن يسجل احتضانه لتلك الشخصيات التي خلدت كيانها، حينما تجدد ذكرها في زمن الحرية التي ناضلت من أجله، إن حضورها لم ينته مع وجودها الفعلي، وهي التي تدعونا مع كل ذكرى إلى مراجعة التاريخ وقراءة تفاصيله.

ولعل الشاعر لن يقصر ذاكرته على تاريخ الوطن فحسب، بل تجاوزها إلى الماضي، ليزيح حجاب الصمت عن شخوص عربية وفارسية صنعت الحدث، بفصلها عن زمنها الفعلي ونقلها إلى الزمن الآني، لتكون شاهدة عليه، وهذا رغبة في تفعيل منطق التجربة الشعرية.

ويمكننا أن نبدأ سفر الاستحضار من شخصية ثورية ناضلت بفكرها، وكانت الوطنية تربتها الخصبة، التي اشتقت منها مبادئ حركتها النضالية، يقول عز الدين ميهوبي:

أُلْقُوا بِالثَّورَةِ ..[4]

لَا تَخشُوا عَلَيْهَا

شَعبُنَا يَحنُوا عَلَيْهَا

أُلقُوا بِالثَّورَة أُلقُوا للشَّارعِ أُلقُوا

إنَّها للشَّعبِ عِتقٌ

أُلقُوا لا تَخشُوا عَليهَا

نَصرُنا بَينَ يدَيهَا

إن حضور شخصية "العربي بن مهيدي" عبر استدعاء مقولتها " ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب" يأتي استجابة للتغيير والرفض والتجاوز .

و تشير متوالية فعل الأمر الواردة إلى إحداث توافق نبضي ثائر، يطمح إلى استرداد خصوصية الهوية ،والاعتداد بالنفس والتعبير عن ثقة الانتصار اللامتناهية، وتجسيد رؤية تفاؤلية تكشف صدى صوت الجماعة، وصدى الذات في إطار الحقيقة التاريخية العامة التي يبحث عنها.

ويتجه الشاعر صوب تحويل الدلالة المتوارثة في الخبرة الإنسانية؛ ليعتمد التغيير لا النسخ المطلق في استدعائه للشخصية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تَجِيءُ الخُيولُ..[5]

ولاَ شَيءَ تَحمِلُ هَذِي الخُيُولُ

سِوَى دَمعَتَينِ لِطَارِقْ..

وآخِرَ شَمْسٍ تُهَاجِرُ خَوفًا مِنَ المُلكِ

الطَائِفِيِّ ..

ورَائِحَةُ الذَّوبَانِ عَلَى مَرفَأ

المَوتِ خَلفَ الحَرَائِقْ..

وتَذبُلُ كُلَّ العُيُونِ..

وكُلَّ الأصَابِعِ..

كُلَّ الحِجَارَةِ..

حَتَّى قَصَائِدُ (ولاّدَةٍ وابْنَ زَيدُونِ)

كَانَتْ كَذَلِكَ تَذبُلُ..

إلاَّ الزَّوَارِقْ..

إن شخصية "طارق بن زياد" تحضر شاهدا على عصر لازمته رائحة الدم، تأسسا للخضوع وطمس التحرر، حيث تغدو الخيول التي لا تحمل أحدا لازمة لانهيار المجد، ومن ثمة تتوارى القصائد التي تتأثث بالحضور العربي خلف غيوم الذبول وأزمات التراجع.

إن رمزية حضور الشخصية الدرامية هو المنعكس التنبيهي للإنسان سها غافلا، حينما رأى الزمن بمسوح وأقنعة متنكرا، و ربما تمنحه رحلة عودته إلى آونة الذبول (الاصفرار) والقساوة (الحجر) حقيقة صفته.

وفي بنية تهكمية يصدر "عز الدين ميهوبي" خيبة أمة تعيش على رماد ما التهمه الزمن، وترتشف من نبع الوهم ما يروي رغبتها في الخلاص:

قُلتُ : ((لَكِنَّهُمْ أَسلَمُوا أَمرَهُمْ لَنَبِيٍّ يُخَلِّصُهُمْ[6]

مِنْ مَتَاعِبِ "إسْرَا.."

و مِنْ إثمِ" كِسرَى"

و مِنْ دَمعَةٍ مِن عُيونِ "مُنَى وَاصِفٍ"

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و مِنْ بَسمَةٍ فِي مَلامِحِ "يُسرَا"

ومِمَّا تَراكَمَ مِنْ فِتنَةٍ فِي بِلادِ العَرَبْ..))

لعل في استدعاء الشخصية التاريخية(كسرى) قناعا يشرع به الشاعر لسبل المواجهة بين الحاكم والمحكوم، كيف يتحدى سيل القمع الجارف وما حيلته للخلاص.

وبين جبروت الشخصيات القديمة تترآى الشخصيات الفنية المعاصرة التي تمارس فاعلية التأثير، الذي يتجه سهما يصيب عقول العرب، ويرمي بها في قبو اللهو والعبث، إنه يؤمّن منظومة القهر إلى أبعد حد.

إن الشاعر من خلال تقنية الاستدعاء، يسخر من مصير شعب تعلق بالمجهول، ويحاول بث دلالات مختلفة تقذف حممها في وجه القارئ من أجل تحرير الأذهان وتبديد ظلام العبودية.

ويستحضر الشاعر عز الدين ميهوبي شخصية "محمد الدرة" للكشف عن جانب من جوانب حياة الطفل العربي عامة والفلسطيني خاصة:

إِنِّي محمد الدُّرة [7]

دَمِي للتُّربةِ الحُرَة

محمد يَا أَبِي طِفلٌ

فِلسطِينِيَّةٌ عَينَاه

قُدسِيٌّ المَواعِيد

و لم يَحلُمْ بِكُراسِ الأَنَاشِيد

ولاَ بالشَّالِ والمِرآةِ والحَلْوى

ولَا تُفاحَة العِيدِ

أَنَا طِفلٌ لِمْدِ الأَرضِ

فِي عَصرِ العَبابِيد.

يستدعي الشاعر شخصية "محمد الدرة" من خلال استخدام التسمية والوصف، مما يفعل الامتداد السردي في النص الشعري، ويعمل على تنويع الضمائر من خلال الالتفات البلاغي، حيث تنتقل الأنا إلى الهو، والهو إلى الأنا، بما يحدث امتزاجا بين الشخصيتين، ويشكل مركزية الذات ويكشف كينونتها وخباياها، كما يحيل على مصير الطفل العربي المشترك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعنى الشاعر بوصف الشخصية معنويا، بما يوافق طبيعة الحدث، ويسمو بمنزلة الذات الموصوفة(الذات الوطنية المنتمية).

تأسيسا عما ورد سلفا يمكننا القول: إن التاريخ يعد منبعا ثرا من منابع الإلهام الشعري، الذي يعكس الشاعر من خلال الارتداد إليه روح العصر، ويعيد بناء الماضي، وفق رؤية إنسانية معاصرة، تكشف عن هموم الإنسان ومعاناته وطموحاته وأحلامه، وهذا يعني أن الماضي يعيش في الحاضر ، ويرتبك معه بعلاقة جدلية تعتمد عل التأثير والتأثر[8].

2.2- الشخصيات الدينية:

1.2.2- الأنبياء:

إن أكثر الشخصيات قدوة في تاريخنا الإسلامي هي شخصيات الأنبياء، يمارس الشاعر هجرته إليها كشفا لمكنون زمن الرسالة والفتح الإسلامي، لاسيما وهو الذي رفع كتلة زمنه، وسعى إلى تحريك جسده المشلول لانتشاله من ركام الغفلة، إنه يجد مساره مجاورا لمسار نبي تصدى وقاوم لنشر الرسالة، ولعل أكثر الأنبياء حضورا في نصه (يوســـف،عيسى، أيوب)

يقدم "عز الدين ميهوبي" مشهدا للعزيمة، يرتقي بمستوى الحضور الأنثوي من معاني التهور والاندفاعية، في مخزون الذاكرة المعتاد إلى معاني الثبات والقوة والرضا:

قَرِيبًا مِنَ النَّهرِ[9]

أبْصرْتُ شَمعَهْ

وطِفْلاً وآنِيَتَينِ ودَمعَهْ

وسَيِّدَةً فِي المَلاءَهْ

تُسَبِّح لِلَّهْ..

تَجدِلُ مِن قَلبِ أيُوبَ عُمرًا جَدِيدَا..

وتَعجِنُ مِنْ سُورَةِ الصَّبرِ فَاكِهَةً للبَرَاءَهْ

إن "النبي أيوب" (عليه السلام) يقترن بسورة الصبر، ليلقنها لكل ذات مقهورة أعيتها مسننات الواقع البشع، فيبعث فيها الحياة من جديد لتستعيد أمل البقاء، ويطعمها عصارة الصبر، حتى تتصدى للمعيقات بكل تحد.

والحق أن الشاعر ينجح في خلق مؤثرات تنشط انتباه القارئ، وتوقظه عن غفلته ، مرة بتفعيل ثنائية (جنوب/شمال) التي تبعث لوازم المتقابلات الدلالية،وأخرى بالعدول من خطاب إلى غيبة (تأبطت، جئت/ مر)،«ولما كان [أسلوب]

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الالتفات هو الإشارة إلى شخص بضمير لا يطابق سياق الإشارة إليه فإنه يمثل مداورة في القول تعيق عملية التوصيل الاعتيادية، وهذه الإعاقة تمثل انحرافا للرسالة اللغوية باتجاه القيم الجمالية للتعبير اللغوي »[10].

ومن الشخصيات التي تردد ذكرها في متون الشعراء شخصية "عيسى عليه السلام" إشارة إلى الثبات على الحق والإيمان بالعدالة:

كَأنِّي إذَا جِئتُ..[11]

أُحصِي الدَّقَائقَ

لِأفرَح..

غَيرَ قَلبٍ يُفكِّرُ فِي مَوعِدٍ للذَّهَاب

كُنتُ وَحدَي

عَلَى شَاطِئ البَحرِ

كُنتُ كَمَا نَورسٍ تَائِهٍ

بَينَ مَوجٍ وَرِيح

وكُنتُ شَبِيهًا بِـــــــــــــ«هِمغْواي»

وكُنتُ كَظل المَسِيح

وحِيدًا..

لَعلَ المَسافَة مَا بينَ مِيلادِ قَلبِي ورُوحِي

مَلامِح طِفلٍ يَصِيح

يتبدى من خلال هذا المقطع استناده إلى محور زمني عبر جسر الفعل كنت فاصلا بين لحظة الماضي والمستقبل ليضعنا أمام قوة نفسية قاهرة(الوحدة والتيه) مما يسفر عن حضور مأساوي يعكس درامية الوجود الإنساني.

وقد استغل الشاعر الصورة التشبيهية من أجل استدراج شخصيتي أرنيست هيمقواي وشخصية النبي عيسى عليه السلام مشيرا إلى لحظة من لحظات الصراع والمجابهة متخذا من أسلوب المزج بين الشخصيات الأدبية والدينية قناعا مركبا مبرزا لدلالات عدة(ى الاغتراب الذاتي، المعاناة والصراع، محاولة تحقيق الوجود).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2.2.2- شخصيات أخرى:

قد يلجأ الشاعر إلى استخدام شخصيات من التاريخ الإسلامي اقتداء بأسوتها الحسنة، لكونها الوجه المضيء في زمن العدالة، تمثل قوة التقوى ورمز المقاومة والجهاد ،أو لكونها شخصيات اتصلت بالأنبياء وأدركت المعصية، ثم لجأت إلى طلب المغفرة و التوبة.

وفي قصيدة " مناجاة الملاك الغائب" يتّحد المعنوي بالمحسوس، لإعلان فتنة الكتابة و تجسيد مراوغتها:

أنْتِ القَصيدَةُ يَا "زُلِيخَةَ"[12]

لَسْتُ "يُوسُفَ"..

لا ولا حَتَّى "العَزِيز"..

ولَسْتُ أكثرَ مِنْ فتَى..

فِي صَدرِهِ دِفءُ الحُرُوفِ

ومِنْ تَوجُّعِهِ أتَى..

لا تَسأَلِي مَاذَا يُخَبِّئُ..

لا تَقُولِي لَهُ مَتَى..

إن حضور شخصيات قصة "يوسف عليه السلام"، يجعل المرأة الغواية تتناغم وفتنة القصيدة،إذ تكتسب من النص القرآني صفة التستر،لاسيما والخطاب يضمر التصريح بها ليرفع من قيمة الأنثى الموؤودة، ويمنحها بريق الاحتجاب. ولعل القصيدة تزداد شاعرية إذا احتجبت مدلولاتها.

إن استدعاء الشخصية التراثية ليس مجرد عرض لا معنى له، وإنما يأتي به الشاعر لدعم موقفه وإثراء تجربته وتعميق إحساسه بالاستمرارية والتواصل من خلال إعادة صوغ معطيات الماضي لخلق صورة ذات دلالة مختلفة، كما يعزز رابط المحاورة والمشاركة بين المتلقي ورموز السيرة، حتى يتتبع خطى الكفاح ويتشبث بعرى الإيمان والتقوى :

3.2- الشخصيات الأدبية:

لا بد لشاعر يعيش الاغتراب أن يعود إلى ذات تماثله الإحساس وتقاسمه الشعور، لذا طرق أبواب الذاكرة ليعانق صوته المبحوح، ويتواصل مع انفعاله من خلال استدعاء الشخصية الأدبية الأكثر طواعية لتمثيل مواقفه، وفي تلك العودة تكريس للوحدة وتحقيق للخلود، حيث يحافظ الخطاب على ترانيم الصوت المستعاد، ويجسد الاستمرارية والتجدد، حتى يسجل شاهدة الآخر على هذا الزمن.

ففي قصيدة " عولمة الحب عولمة النار" يختار "عز الدين ميهوبي" شخصيتي المتنبي وأدونيس ليجمع بين القوة والخلود:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قَرِيبًا مِنَ الكُشكِ[13]

فَتَّشْتُ فِي جَيبِ ذَاكِرَتِي عَن بَقايَا قَصِيدَهْ

تَسَاقَطُ مِنْ شَفَتِي «المُتَنبِي»

وأوْرَقَ فِي عُشبِ كُرَّاسَتِي «أدُونِيسُ»

فَأغْلَقتُ أزْرارَ عُمرِي..

إن الشخصية الأدبية هي رفيقة الشاعر التي تحرسه إذا ما صمت نصه، وتجعله يتسلح بأقوالها، ويحتفظ بهويته من خلال حضورها، ويغذي قصائده برحيق ما جمعته كتابتها، إنه ينهض على أقوال جديدة تتفجر من أضابير الماضي وتمتد بجذورها لتُؤصل وجودها وشرعيتها.

وتحضر شخصية ابن زيدون بوصفها رمزا للذات الساخطة على الوضع والطموحة إلى تتجاوز واقع الاضطراب والإرباك :

الصَّباحُ الَّذِي مَدَّ لِي يَدَه[14]

لاَ يَرَى غَدَه

وأَنَا خَلفَ طَاحُونَةِ الرِّيحِ

أَسمعُ مَا لَم يَقلْه ابنُ زَيدُونِ

أوْ مَنْ أتَى بَعدَه

الصَّباحُ الَّذِي يَحتَسِي قَهوةً مُرَّة

يَختفِي فِي المَرَايا

ويَتركُنِي كَالسَّجِينِ الَّذِي مِن فَجِيعَتِهِ

يَشتَهِي قَيدَه

يعكس الشاعر زمنا تراجيديا لا مستقبل له، تتجلى خلاله صورة واقع مفجوع وذات موجوعة ترضى الرضوخ لسطوة القيد والأسر بديلا عن قبح العالم الخارجي وقهر الزمن.

وهو في هذا يستند إلى شخصية أدبية (ابن زيدون ومن أتى يعده)، ليعبر عن مسيرة شعرية يؤيد صوتها الذي يعلن الرفض والتخطي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4.2 شخصيات من التراث الغربي:

استطاعت الشخصيات الغربية أن تتسرب إلى الأدب العربي، بفضل ما تحمله من ثقافات مختلفة، يمكن أن تكون سندا لمعرفة الآخر، ومخاطبته بلغته التي يستوعبها.

لقد مثلت المواقف الغربية لِبنةً خاصة في البنية النصية أَثْرَت التجربة الشعرية، ولعل الشخصية الفنية أوفر حظا من غيرها، لكونها تعبر عن الفكر الغربي وتحمل صوته القومي، وهو ما يسمح بتكوين ثقافي متعدد المذاهب والتوجهات.

يقول الشاعر:

وصَدِيقِي..[15]

يَصُبُّ دَمِي فِي فَمِي

ويَسأَلُنِي عَنْ جُنونِ البَقرْ وعَن ((مَرادُونَا))

وعَن طِفلَةٍ أَنْجَبتهَا ((مَادُونَا))

وعَنْ شَارِعٍ مِنْ دَمٍ يَستَحِي مِن حَجرْ

إن حضور الرموز الغربية خطاب ساخر يترجم ولع العربي بالثقافة الغربية واستلابه الفكري المتوجه نحوها، يراها المركز ويجعل ذاته هامشا، يتطلع إلى نبش أخبار الآخر، ويعيش في دوامة الدماء وبالوعتها يواجه حياته بدماء تجري في عروق الآخر.

وتأتي شخصيو بيكاسو صورة رامزة من خلال أعمالها الفنية إلى مدينة الجزائر إثر الفترة الدموية العصيبة:

اللون الأبيض غرينيكا[16]

والطفل النائم لا يسهر

أحلام عاشقة دالية

تتماهى من ألق المرمر

اللون الأخضر غرينيكا

والعشب الطالع لا يكبر الوردة لا تختار العطر

وتنكر رائحة العنبر

اللون الأزرق غرينيكا

وسماء الرايس لا تمطر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لا تنبت شيئا في المنفى

اللون الأصفر غرينيكا

والصمت أقاح في المجمر

اللون الأسود غرينيكا

وملاءة سيدة تقبر

اللون الأحمر..غرينيكا

غرينيكا الرايس بالأحمر

طفلا يتأبط كراسا

ودما مزروعا في الأجفان

يستدعي الشاعر شخصية بيكاسو من خلال الموقف، وهو حضور اللوحة غرينيكا عبر استخدام التدرج اللوني، إذ يبدأ من البياض وينتهي عند الاحمرار ، كما يجسد علاقة التضاد اللوني التي تحيل على واقع التشظي والانشطار، الموافق لزمن العشرية السوداء التي تعبر عنها الذات.

إنه زمن التيه والشتات والخلط اللامتناهي الذي يلف اللوحة، فيغيب قيمة اللون، ويحجب الحقيقة، ويمحو المعالم والميزات (العشب لا يكبر، الزهور تفقد لونها، السماء لا تمطر / يحضر المنفى والبوار والقبر)، وما ذلك التشبيط إلا اتساع لمساحة الموت أمام تآكل صفيحة الحياة.

إن هذه الصورة المهربة من نتاج بيكاسو الفني تحيلنا على فجيعة موت المكان، أو بعبارة أدق إلى موت المدينة (الأرض اليباب)، مما يجسد الخراب حسيا على جسد الصفحة.

5.2. الشخصيات الأسطورية:

تشكل الأسطورة «صيغة سردية لتلك الرموز النموذجية الأصلية بوجه خاص والتي تشكل معا رؤيا مترابطة عما يعرف الإنسان ويعتقد»[17]، إنها مغامرة العقل الأولى التي تحيلنا على زمن النقاء والفطرة، وعادة ما يستخدم الشاعر الحالي الأسطورة، محاولة منه «للارتقاء بالقصيدة من تشخيصها الذاتي إلى إنسانيتها الأشمل، لتتجاوز في الوقت نفسه الآني المحدود الزمنية إلى الجوهر الممتد في زمنية مطلقة»[18].

هذا يعني أن النص الشعري في رحلة بحث مستمرة عما يثري بنيتيه الجمالية والدلالية، متخطيا الجزئي والذاتي تعلقا بتجربة إنسانية شمولية، يكون لها جانبها التأثيري الأوسع في المتلقي.

وتحضر الشخصية التراثية الأسطورية في شعر عز الدين ميهوبي محملة بدلالات إنتاجية جديدة:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شَهرَزاد [19]

امنحيني الَّذِي يتبَقّى مِنَ الحَكي..

قَبلَ مَجيءِ النَّهارْ

أنَا عَاشقٌ

فَامنَحِيني ولو لَيلَةً بَعدَ أنْ يَختَفي شَهرَيار

يلتقي النص الحالي بالأصلي في الاحتفاظ بسطوة الحكي عند الأنثى شهرزاد، لكنه يخالفه في محاولة استبدال شخصية الحاكم شهريار بشخصية الشاعر، ومن ثمة تتحول الذات الكاتبة إلى ذات مستمعة تتمتع بنشوة الانتصار على عامل الزمن .

ونلحظ أن الشاعر قد استخدم تقنية الحوار القائم على أسلوبي النداء والأمر، لكن حواره يرتد صوبه؛ لأن شخصية شهرزاد غائبة، لذا تبقى أمنية الذات قائمة، في تجسيد أمثولة الحب والوجود. وتعرف تقنية الاستدعاء هذه بالقناع البسيط، وهو الذي «يعتمد فيه الشاعر على شخصية واحدة مفردة يسقط عليها تجربته المعاصرة بكل همومها وهواجسها، بعد أن عايش تلك الشخصية فترة طويلة أو قصيرة من الزمن فتشربها وهضم مكوناتها وتمثل عصرها» [20].

لقد كان في استغلال تقنيتي السرد والحوار انفلاتا من النمطي والمعتاد، وهدم نسق الانتظام في النص الشعري، لجعله أكثر قدرة على استيعاب المعطى الاجتماعي والسياسي وحتى النفسي مما حقق لفت عناية المتلقي.

وتستخدم شخصية شهرزاد أيضا تأشيرة انتقال من الشكل الغنائي إلى الدرامي ،مميطة الستار عن زمن امتدادي يعبر عن هواجس الذات ورغباتها:

شَهرَزادُ [21]

أُنظُري تِلكَ أُمِّي الوَحِيدهْ

تَنامُ عَلى جُرحِهَا أَلفَ عَامْ

وتَصحُو شَهِيدَهْ

هِيَ امرَأةٌ مِنْ رُخَامْ

تَنامُ وتَصحُو..

وفِي شَفتيهَا يَذُوبُ الكَلامْ

هِيَ امرَأةٌ مِنْ رَحِيقِ الزَّمَن

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتَنقشُ فِي الحُلمِ وجْهَ الوَطنْ

يحاول جمال الصورة بعث ولادة جديدة توثق بين شخصيتين أسطوريتين (شهرزاد وجلاتيا*)، لبناء أسطورة مركبة تشي بالاستسلام لجبروت امرأة تهذب الذات وتعيد صياغة الوجود.

كما أن القرن بين الأجزاء المتباعدة يخلق وحدة نسقية واصلة بين الأقطاب، تحقق غواية التواشج الأواصري بين زمنين (زمن الرغبة وزمن النقاء). ينضاف إلى ذلك ما يحققه امتزاج ملامح الشخصين من بعد دلالي لا يتوفر في إحداهما منفرده فتصبح أكثر ملاءمة لتجربته، وأعمق إيحاء[22]

في حين يشكل تعالق الواقع بالرغبة المأمولة لملمة وجه مشوه تلفحه نيران المنفى، وينبئ عن رغبة القضاء على فوضى التشتت والانقسام، من خلال الربط بين اللاوعيين الفردي والجمعي، لذلك يرى يونغ أن «الأساطير تجسد أحلام الشعب وحاجاته وكما ينبع الحلم من لاوعي الفرد تنبع الأساطير من لا وعي الجماعات»[23].

يمثل استدعاء الشخصيات المرتكز الذي تستند إليه ذات تبحث تحت ركام الزمن عن مسرح لمناخها الآني، و تنبش تحت لفافات الذاكـــــــرة عن خطى تسير على إثرها، لتجتاز عفن الحفر، معيدة بناء ذات أنهكتها السنون المتجهمة تتخذ نزعة الصمود والمقاومة زادا في هذه الرحلة المرهقة.

3- الخاتمة :

- استخدم الشاعر آليات عدة خلال استدعائه للشخصيات التراثية، منها الاستدعاء عبر التسمية أو القول أو الوصف أو الموقف، كما عمل على تفعيل مبدأ التحويل بتوظيفه الشخصية في مواقف مغايرة لما هو معروف، ومبدأ المزج بتركيبه بين شخصيات تراثية عدة .
- إن استدعاء الشخصية التراثية، هو رحلة بحث كشفية عن حقيقة ما تطاردها الذات رغبة في اقتراح حلول معينة لمشكلة الاغتراب الآني.
- يلتقي الشاعر بموروثه الحضاري في محاولة وضع لإثبات الهوية، حيث تؤسس الذات- من خلال علاقتها بالماضي - فعلا الوجود والإثبات، مسافرة في معجم تاريخها، متجاوزة عامل التراتبية القمعي، حيث تتمدد عبر خيطها الزمني، فتؤثث كيانها المتمرد، وتتكاثر الذكريات معبرة عن اشتياق الذات لنفسها، وهي من خلال رحلتها تلك تنمو وتترعرع في تربة ذاكرتها الجمعية.
- يمثل الاتكاء على الشخصية التراثية ممارسة لسطوة مضادة ضد عامل الزمن القهري، كما أنه البيت الذي تلجأ إلي دفئه الذات لتحيا تعايشا داخليا واصلا بين الفترات في حال عجزها عن بلوغ التعايش الخارجي.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- قائمة المصادر والمراجع:

1-الكتب:

- إيمان محمد الكيلاني: بدر شاكر السياب، دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل، عمان، 2008.
- بلحاج كاملي، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة ، دمشق، 2004.
- رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003.
- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، القاهرة، ط3 ، (د ت).
- عز الدين ميهوبي: الشمس والجلاد، غنائية الشهيد محمد العربي بن مهيدي، ط.1 دار أصالة، سطيف، الجزائر، 1988 .
- عز الدين ميهوبي، أسفار الملائكة، الجزائر، منشورات البيت، 2008.
- عز الدين ميهوبي، عولمة الحب عولمة النار، سطيف، الجزائر، منشورات أصالة للإنتاج، 2002 .
- عز الدين ميهوبي، قرابين لميلاد الفجر، الجزائر، منشورات أصالة، 2003.
- علي زايد عشري : استدعاء الشخصيات التراثية، في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997.
- محمد علي كندي:الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب ونازك والبياتي)،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت، لبنان، ط1 ،2003 .
- محمد فكري الجزار: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001،

2- الكتب المترجمة :

- بول ب ديكسون: الأسطورة والحداثة حول رواية دون كازمور ، تر خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، 1998.

3- المجلات:

- إبراهيم نمر موسى توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني، عالم الفكر، المجلد 33، العدد 2، أكتوبر ديسمبر، 2004.

روز غريب، الشعر الحديث حركة ثورية محتمة، مجلة شعر، لبنان، العدد 37، 1 يناير ، 1968.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

5- الإحالات: .

[1] عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر/ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الثقافة، القاهرة، ط3 ص 15

[2] علي زايد عشري : استدعاء الشخصيات التراثية، في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1997، ص 61-62.

[3] بلحاج كاملي، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة ، دمشق، 2004، ص.32.

[4] عز الدين ميهوبي: :الشمس والجلاد، غنائية الشهيد محمد العربي بن مهيدي، ط.1 دار أصالة، سطيف، الجزائر، 1988 ،ص-47 48.

[5] عز الدين ميهوبي:في البدء..كان أوراس، ص204

[6] عز الدين ميهوبي:عولمة الحب عولمة النار، سطيف، الجزائر: منشورات أصالة للإنتاج، 2002، ص67.

[7] عز الدين ميهوبي: ديوان قرابين لميد الفجر، دار أصالة للإنتاج الإعلامي والفني، سطيف، الجزائر ط1 ماس2003 ، ص 11.

[8] إبراهيم نمر موسى توظيف الشخصيات التاريخية في الشعر الفلسطيني ، عالم الفكر العدد 2 المجلد 33، أكتوبر ديسمبر، 2004، ص 117.

[9] عز الدين ميهوبي:عولمة الحب عولمة النار، ص 56.

[10] محمد فكري الجزار: الخطاب الشعري عند محمود درويش، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2001، ص 112.

[11] عز الدين ميهوبي: : أسفار الملائكة، الجزائر: منشورات البيت، 2008،ص96-97.

[12] عز الدين ميهوبي:عولمة الحب عولمة النار،ص31

[13] عز الدين ميهوبي:عولمة الحب عولمة النار، ص ص 62.

[14] عز الدين ميهوبي: : أسفار الملائكة، ص23.

[15] عز الدين ميهوبي: عولمة الحب عولمة النار، ص 65.

[16] عز الدين ميهوبي: عولمة الحب عولمة النار، ص217-219.

[17] بول ب ديكسون: الأسطورة والحداثة حول رواية دون كازمور ، تر خليل كلفت، المجلس الأعلى للثقافة، 1998، ص 27

[18] رجاء عيد: لغة الشعر قراءة في الشعر العربي المعاصر، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2003، ص 372.

[19] عز الدين ميهوبي: أسفار الملائكة، ص 131.

[20] محمد علي كندي:الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث(السياب ونازك والبياتي)،دار الكتاب الجديدة المتحدة،بيروت،لبنان،ط1، 2003،ص83.

[21] عز الدين ميهوبي: أسفار الملائكة، ص 141.

* هي تمثال بيجماليون الذي هام به لدرجة أنه دعا في عيد الآلهة فينوس أن يتحول تمثاله إلى فتاة فاتنة فحققت له فينوس رغبته وتزوج جلاتيا وأنجب بافوس.

[22] إيمان محمد الكيلاني:بدر شاكر السياب-دراسة أسلوبية لشعره، دار وائل ، عمان ، 2008، ص192 .

[23] روز غريب، (1968)، الشعر الحديث حركة ثورية محتمة، مجلة شعر، لبنان، العدد 37، 1 يناير ، ص 14-15.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com